الحياة في الملكوت السّماوي

عندما كتب القديس بولس رسالته إلى الأفسسيّين (1: 3)، مجّد الله الذي "غمرَنا من علياء سمائه بكلّ بركة روحيّة في المسيح يسوع... ومعه أقامنا، و معه أجلسنا في السّماوات." (2: 6) هكذا صرنا مواطنين في الفردوس، وورثة مع القدّيسين، وشعبًا يحيا حياة الله ويشاركه في طبيعته. فوعيُ الكنيسة الشّرقيّة لهذه الحقيقة، حملَها على ابتكار "أخلاقيّتها" الخاصة، أي طريقتها في الحياة المسيحيّة. إنّ كنيستنا هي "من عالم آخر"، تؤكّد قداسة الله، و دورَنا في عبادته ملتفّين حول عرشه، وزمالتَنا مع القدّيسين، وغير ذلك، يقينًا منّا أننا لا ننتمي إلى هذا العالم، بل إلى الملكوت السّماوي. وهذا ما ندركه بنوع خاص في مبنى الكنيسة التي تمثّل السّماء على الأرض، وفي إيماننا بأنّ الوظيفة الرئيسيّة للكنيسة على الأرض هي الاحتفال باللّيتورجيّا الإلهيّة. من النّاس مَن يرى أنّ ذلك بعيد عن الواقع، لكن إذا صحّ قول بولس الرّسول، لزم علينا أن نبحث أين يقع مَوطننا السّماوي.

نمط الحياة في الملكوت السّماوي

انّنا لا نحيا في الملكوت السماويّ فقط عند احتفالنا باللّيترجيّة المقدّسة، بل ذلك الملكوت يؤثّر في حياتنا اليوميّة أيضًا. فنحن نعيش في عالمَين، إنْ جاز ها القول: عالم نشارك فيه الأسرة البشريّة، والآخر — العالم السّماوي — هو خاصّ بنا نظرًا لاتّحادنا بالله في يسوع فالمفروض إذَن في حياتنا اليوميّة أن تعكس مشاركتنا المسيح. في العالم السّماويّ. فنحن ننظر إليه بالمعيار المطلوب منّا أن نلتزم به في حياتنا، أي معيار الإنجيل، لأنّنا نؤمن ونوجّه ياتنا بموجب حقائق لا تُرَى على هذه الأرض:

> "لقد قمتم مع المسيح فاطلبوا إذَن ما هو فوق، حيث يقيم المسيح جالسًا عن يمين الله. إهتمّوا لما هو فوق، لا لما هو على الأرض." (كولوسّي 3: 1)

العالم حولنا كثيرًا ما لا يستطيع فهم المعايير الإنجيليّة، لأنّها غالبًا ما تناقض حكمة هذا العالم. كما أن المجتمع الذي نعيش فيه يقيس معنى الحياة بالنّجاح والرّفاه والممتلكات والملاذّ الأرضيّة. بينما المؤمن يقدّر نصيبه من الطبيعة الإلهيّة ويضعها عاليا فوق هذه الشؤون الأرضيّة، وهذا بالتّالي يؤثّر في أُسلوب تفكيره والقيام بأعماله واتّخاذ قراراته وما يضع من أولويّات في حياته. ولأنّ الله أفرد لنا محلًّا في الملكوت السّماوي، فنحن على صِلة بأشخاص لا يعلم العالم حتّى مجرّدَ وجودهم: الثّالوث القدّوس والسيّدة العذراء، والقدّيسين، والقوّات السماويّة.

وطريقة الاتّصال بهم نسمّيها الصّلاة، وهي أداتنا الطبيعيّة للتحدّث إلى الربّ الذي نشاركه حياتَه مع إخوة لنا من شتّى الأجيال. فالصّلاة هي السِّمة المميّزة لالتزامنا بالملكوت السّماويّ.

الصّلاة والصّوم والصّدقة

بـ الصّلاة نرتقي إلى عرش الله الذي تَكرّمَ وأتاح لنا الاتّصال به. كما نحاول أن نستمدّ نمطًا سماويًّا لحياتنا ونأتي به إلى الأرض لإعادة توجيه أنشطتنا اليوميّة. و الصّوم هو إحدى تلك الوسائل. إنّه يعارض الطُّرُق التي ينهجها العالم من حولنا، لا سيّما في حضارة قائمة على مبدأ الاستهلاك. ونحن، إذْ نعدِل عن الطّعام واللّهو واللّذة لنصوم عنها كلّها، إنّما نقول للعالم: "نحن لسنا من ههنا." وعندما نصوم نعترف أنّ الحياة لا تقوم على مجرّد التمتّع بالخيرات الماديّة، بل على علاقتنا بالخالق.

وللصّدقة صِلة وثيقة بالصّيام، لأنّها تنبذ تصرّفَ العالم. فمجتمعنا يحثّ على الاستهلاك ويدعونا إلى أن "نخزن كنوزًا على الأرض". أمّا نحن فنقول له مع القدّيس بولس إنّ الخيرات المادّية أعطت لنا، ليس لسدّ حاجاتنا فحسب، بل أيضًا للأعمال الخيريّة. كما نقول ما قاله السيّد المسيح، إنّ مملكتنا ليست من هذا العالم، ونقتدي بمحبته في إنفاق ما وهبنا من الخيرات.

ختامًا، لا يغرُبْ عن بالنا أنّنا لم نشغَل بعدُ مكاننا كاملا في الملكوت السّماوي، لذا نجد أنفسنا في مصارعة يوميّة غير مرئيّة "لا ضدّ قُوى بشريّة، بل ضدّ وُلاة عالم الظّلمة."(أفسس 6: 12).

للكنيسة صلوات يوميّة كثيرة تسأل الله بها أن يقيَنا قوى الشرّ. ولا عجب في ذلك، فنحن نعتقد أنّ في العالم المرئيّ أشياء كثيرة لا تُرى بالعين الجسديّة. ولما كنّا مواطنين في الملكوت السّماوي، كان لا بدّ لنا من أن نُحيط أنفسنا على الدّوام بوسائل الاتّصال بوطننا. من هنا تكريمنا للإيقونات المقدّسة في منازلنا كما في الكنيسة، ورفع الصّلوات أمامها. وإيماننا بالوطن السّماويّ ينعكس خيرًا على شؤوننا المنزليّة. فنصوم ونستضيف المعوزين مرحّبين بهم باسم المسيح، وبذلك نُنمي اختبارنا للملكوت السّماوي. فنحاول أن نعيش حياتنا اليوميّة متذكّرين أنّنا بالمعموديّة صرنا ورثة مع المسيح لكلّ ما وعدنا الآب به.

الحياة في الملكوت السّماوي

مكتب الخدمات التربوية
لأبرشيّة نيوتن الملكيّة
http://mekite.org/

حقوق الطبع والنشر محفوظة
للصور المأخوذة من مجلة صوفيا
للروم الملكيين الكاثوليك أبرشية نيوتن

مواطنو الفردوس

"محفلُ القدّيسين وجد ينبوعَ الحياة وبابَ الفردوس. فمَن لي أن أجد الطّريق إليك بالتّوبة. أنا هو الخروفُ الضالّ. فادعني يا مخلّص وخلّصني.

"يا مَن قديمًا من العدم جبلني، وبصورته الإلهيّة شرّفني، ولتجاوزي وصيّتَه أعادني إلى الأرض التي منها كوّنني. أعِدني إلى ما هو على مثالك، فيُبعَث فيّ الجمالُ القديم.

"أنا صورة مجدك الذي لا يوصف، وإنْ حملتُ سِماتِ الزلات. فارأف بجبلتك أيّها السيّد وطهّرني بتحنّنك. وامنحني الوطن المشتهى. مُعيدًا إليّ حقوق أهل الفردوس."

(تبريكات الرّاقدين – رتبة الجنّاز)

وممّا قاله القدّيس اسحق السّوريّ في هذا الشأن.

"أُدخلْ باطمئنانٍ مخزنَ الكنوز الكامن في قلبك، تجدْ فيه مخزن الكنوز المحفوظ في السّماء، إذْ لا فرق بينهما، كما أنّ لهما مدخلا واحدًا. فالسُّلَّم المؤدّي إلى الملكوت هو في باطنك، إذْ لا محلّ له إلّا في نفسك. غُصْ إذَن في ذاتك تجدِ السُّلَّم للصّعود إلى الملكوت السّماويّ."

ويقول القدّيس أنطونيوس الكبير:

"ثمار الأرض لا تنضج سريعًا، بل لا غنى لها عن الوقت والمطر والعناية لتصير يانعة. كذلك ثمار الرّوح تحتاج إلى الوقت وممارسة التقشّف والمواظبة على الدّرس والمثابرة وضبط النّفس والصّبر، لتكتسب النّضوج."